مجلة الإحياء، المجلد: 21، العدد: 28، جانفي 2021، ص - ص: 1127 – 1136
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

الاحتلال الإيطالي لليبيا: الظروف، الوسائل، الأسباب، قرار الغزو (1905-1911)

Italian occupation of Libya: circumstances, means, 1911-1905reasons, decision to invade

عبد الحميد جنيدي
كلية العلوم الإنسانية- جامعة ابن خلدون تيارت- ملحقة قصر الشلالة
djhamid84@yahoo.com

تاريخ الإرسال: 2020/05/15 تاريخ القبول: 2020/12/16

الملخص:
كان لمؤتمر برلين الثاني1884-1885م أهمية كبرى في تاريخ القارة الأفريقية، إذ وضع الأسس الجديدة للعلاقات الاقتصادية داخل القارة، ونظم العلاقات بين القوى الاستعمارية الأوربية على أسس قانونية الأمر الذي أفضى إلى هيمنة هذه القوى على التجارة في مناطق نفوذها، وأعطى أيضا شروطا للاحتلال وللنفوذ ولتقاسم المناطق الأفريقية في المستقبل، وأعاد في النهاية رسم خريطة سياسية جديدة للقارة واعتبر بداية النهاية لسياسة الصراع والتسابق من طرف القوى الاستعمارية على القارة وأدى في النهاية إلى استعمار واستغلال، واستنزاف مقدرات وموارد وشعوب القارة. ولم تسلم من تلك السياسة إلا ليبيريا في الجهة الغربية منها والحبشة في شرقها. ومما هو معلوم أن طرابلس الغرب (ليبيا) واحدة من دول شمال إفريقيا، لذلك فقد شهدت أراضيها كغيرها من الدول الإفريقية تنافسا استعماريا أوربيا بين كل من فرنسا وبريطانيا وألمانيا، وإيطاليا، حيث تمكنت هذه الأخيرة من احتلالها والسيطرة عليها.وجاءت هذه الدراسة للبحث في عوامل وظروف الاحتلال، ثم توضيح السياسة الاستعمارية المتبعة منقبل الاستعمار الإيطالي في طرابلس الغرب.
الكلمات المفتاحية: إيطاليا؛ ليبيا؛ الاستعمار؛ الغزو.

Abstract:
The Second Berlin Conference 1884-1885 was of great importance in the history of the African continent, laying the new foundations for economic relations within the continent, and regulating relations between european colonial powers on legal grounds, which led to the domination of these powers over trade in the regions Its influence, which also gave conditions for occupation, influence and the sharing of African regions in the future, eventually redrew a new political map of the continent and was seen as the beginning of the end of the policy of conflict and race by the colonial powers on the continent and eventually led to the colonization and exploitation, and the depletion of the capabilities, resources and peoples continent. Only Liberia on the west and abyssinia in the east of the country have been spared from that policy.
Tripoli west (Libya) is one of the countries of North Africa, and like other African countries witnessed the rivalry and competition of the Colonization of Europe between France, Britain, Germany and Italy, and the latter was able to occupy and control it, and this study came to look at the factors and circumstances of the occupation, and then clarify the colonial policy followed by the Italian colonization in Tripoli west.
Key words: Italian, colonialism, Libya, Invasion.

مقدّمة:
لقد تعددت أساليب التوغل السلمي للاستعمار الأوربي من دولة إلى أخرى ومن زمن لآخر، ومن أبرز هذه الأساليب وأكثرها فاعلية هي الأساليب الثقافية والاقتصادية هذا من جهة. وقد أعطى مؤتمر

برلين الثاني دفعا قويا للقوى الاستعمارية لغزو وتقاسم باقي دول شمال إفريقيا، ودول جنوب الصحراء من جهة أخرى. ونتيجة لهذا دخلت إيطاليا في مجال التوسع والتنافس الاستعماري وتمكنت في الأخير من احتلال طرابلس الغرب (ليبيا) وبهذا حققت أهدافها الاستعمارية في القارة وهو السيطرة على واحدة من دول الشمال الإفريقي والتي تعتبر المنفذ الرئيسي للتوغل إلى دواخل شرق إفريقيا. أما إشكالية الدراسة فهي: كيف تم الاحتلال؛ وما أسبابه وما هي الظروف التي ساعدت على ذلك، وما هي الأساليب والوسائل التيمر تنفيذ قرار الغزو الإيطالي على ليبيا. والهدف من هذه الدراسة هو البحث في أهداف السياسة الاستعمارية الإيطالية في ليبيا، وما هي الأساليب المتبعة في ذلك؟.ولمعالجة موضوع الدراسة اعتمدت على المنهج التاريخي التحليلي الذي يتطابق مع طبيعة الدراسة.

ظروف الاحتلال الايطالي لليبيا: لما اشتدت حركة التدافع الاستعماري بعد مؤتمر برلين الثاني1884-1885م بشكل لم يعرفه العالم من قبل،تسارعت الدول الأوروبية الكبرى لتكوين إمبراطوريات كبرى لها، وتسابقت للاستيلاء على أجزاء كثيرة ولاقتسام مناطق عديدة من القارة[1]، حيث احتلت فرنسا شمال وغرب ووسط القارة؛ ولم يقتنع الاستعمار الفرنسي بالسيطرة على الجزائر وتونس فقط، إذ اتجه جنوبا واستولى على النيجر وتشاد، وبهذا صارت مستعمراته تتاخم الحدود الطرابلسية من الغرب والجنوب.واستولت بريطانيا على مناطق شاسعة في شمال وشرق وجنوب قارة إفريقيا، حتى حاذت مستعمراتها في مصر والسودان الحدود الشرقية لليبيا، وهكذا لم يبق أمام إيطاليا سوى ولاية طرابلس(ليبيا) التي أصبحت في خطر أمام اشتداد التنافس الاستعماري الفرنسي-البريطاني[2].

و دفعت شدة التنافس بين الاستعمار البريطاني والفرنسي للصدام أحيانا والتفاهم أحيانا أخرى، فقد حدث صدام بينهما في حادثة فاشودة[3]، والتي انتهت بعقد اتفاق بينهما في عام 1899م، وتحددت فيه مناطق النفوذ بينهما في المنطقة الواقعة جنوب الصحراء الطرابلسية، ولم تذكر الاتفاقية طرابلس، إلا أن فرنسا وبريطانيا حاولتا الاستيلاء على المناطق التي تتاخم حدود مستعمراتهما- رغم أن الدولتين تعهدتا باحترام حقوق السلطان العثماني في الولاية- مما أثار احتجاجات الإمبراطورية العثمانية واعتراضها، وسخط ايطاليا التي كانت تتطلع للاستيلاء عليها[4]. وبهذا استولت فرنسا على واحة بلمة عام 1906م، ثم احتلت منطقة واداي وضمتها إلى النيجر سنة 1909م، ثم سيطرت على التبستي في عام 1910م وضمتها إلى التشاد، وألحقت بتونس جملة من الواحات التي تمر بها طرق القوافل، وذلك بموجب اتفاقية عثمانية فرنسية عام 1910م[5]. وتوقفت فرنسا عند هذا الحد بسبب عاملين هما:

- رغبة فرنسا في الحصول على تأييد كامل من إيطاليا في مشكلة مراكش.
- خشية فرنسا من تأييد إيطاليا لألمانيا في مراكش في حالة استيلائها على ولاية طرابلس، حيث اتجهت الأطماع الإيطالية خاصة وأن اتفاقيتي 1900م و1902م بين فرنسا وإيطاليا حددتا الأطماع المتبادلة للطرفين في مراكش وطرابلس على التوالي[6].

واتجهت بريطانيا من مصر نحو إقليم برقة[7]، فاستولت على واحتي "سيوة والفرافرة"، ثم مدينة السلوم ذات الأهمية الاستراتيجية، وهذا لتأمين الحدود الغربية لمصر من أي خطر يأتي من ولاية طرابلس، وتوقفت عند هذا الحد[8].

وكثفت ألمانيا من نشاطها مع بداية القرن20م في ولاية طرابلس، وأنشأت شركة "دوتش ليفانت ليني" الألمانية خطا للبواخر يربط بين ميناءي طرابلس والإسكندرية، وأقامت محطة تلغراف لاسلكية في مدينة "درنة"، وبدأت في إجراء دراسة شاملة للثروات الطبيعية في منطقة برقة، وأسست عدة مكاتب مصرفية في الولاية، فقد كانت ألمانيا تطمح في تحقيق وتكوين إمبراطورية ألمانية في إفريقيا تمتد من

التوجو والكامرون إلى ساحل البحر المتوسط حيث طرابلس وبناء خط حديدي لربطها، رغم وجود اتفاقية بين ألمانيا وإيطاليا حول الاعتراف بأطماع هذه الأخيرة في ولاية طرابلس[9].

وشعرت إيطاليا أمام تحركات الدول الثلاث فرنسا، بريطانيا، وألمانيا، وقرب اقتسامهم القارة الإفريقية، أنها ستضيع فرصتها الأخيرة في الساحل الشمالي لإفريقيا، خاصة أن الساسة الايطاليين يرفضون بقاء إيطاليا كدولة من الدرجة الثانيةذا ما دفعها للإسراع لفتح أسواق خارجية، وإنقاذ اقتصادها[10]. وكانت إيطاليا متخلفة صناعيا بالمقارنة مع نظيراتها من الدول الأوربية الأخرى هذا ما عطل دخولها في مجال المنافسة الاستعمارية الأوروبية[11].

التمهيد لغزو ليبيا: اعتمدت إيطاليا في غزوها على ليبيا أساليب استعمارية منها:

الأساليب الثقافية: تمثلت أولا في حركة الرحالة التي تعرف بعمليات الاستطلاع، وثانيها سياسة الطلينة بالاعتماد على دور البعثات التبشيرية والمدارس الايطالية.

أ ـ عمليات الاستطلاع حركة الرحالة: تعتبر حركة الرحالة الاستطلاعية والاستكشافية من أولى الأساليب التي اعتمد عليها الاستعمار الإيطالي في معرفة طرابلس الغرب، ولهذا كثفت جهودها لدعم رعاياها في هذا المجال ولتقديم الرعاية والمعونة لهذه الرحلات الاستطلاعية بتوفير المعلومات اللازمة عن الجهات الداخلية من الولاية أو بتأمين الحماية المطلوبة قدر المستطاع [12].

وكانت أولى الرحلات الإيطالية تلك التي قام بها "مانغريد وكامبير يو موفدا" من قبل الجمعية الإيطالية للاستكشاف الجغرافي والتجاري في عام 1880م حيث زار معظم مناطق إقليم برقة. ثم قام "جوزيبي هايمان" في عام 1881م بزيارة مدينة طرابلس وبعض المناطق الداخلية من الولاية حيث أعد بعض الدراسات عنها. كما قام "بيتر" و"مامولي" في عامي 1882 و1883م برحلة في أنحاء متفرقة من البلاد وقدم أبحاثه للجمعية المذكورة[13].

وتمكن أيضا، الرحالة 3بيديتي" في عام 1901م من القيام برحلة منطلقا من مدينة بنغازي باتجاه الشرق حتى مدينة درنة[14]. وقد شملت هذه الرحلات أيضا السياسيين والصحفيين وعلى سبيل المثال لا الحصر قام عضو مجلس الشيوخ الإيطالي بزيارة لإقليم برقة عام 1907م لأغراض يغلب عليها الطابع السياسي هذابالإضافة إلى عدة بعثات عسكرية تحت أسماء مستعارة وذرائع مختلفة لدراسة طبيعة الولاية، ومعرفة إمكانياتها الدفاعية، على الرغم من أن السلطات العثمانية منعت دخول الأجانب إلى ولاية طرابلس الغرب[15].

وقد أحدثت آخر تلك الرحلات التي قام بها العالمان "إسفورزا" و"سان فليبو" للبحث الجيولوجي والتنقيب عن المعادن، ضجة واسعة آنذاك إذ أن أعضاءها أودعوا السجن من قبل السلطات العثمانية ولم يطلق سراحهم إلا في شهر نوفمبر 1912م[16].

ب- سياسة الطلينة: حاولت إيطاليا طمس المعالم الدينية والقومية لسكان طرابلس الغرب، وإيجاد أتباع يؤمنون بالولاء لها، وتحقيقا لهذا الهدف لجأت للاستعانة بالبعثات التبشيرية من ناحية، والمدارس الإيطالية من ناحية أخرى.

- البعثات التبشيرية: أيد رجال الدين احتلال ولاية طرابلس كما أظهروا استعدادهم لإعداد أهل البلاد لقبوله واضعين أنفسهم في خدمة السياسة الاستعمارية، وتتمثل تحركاتهم في ثلاثة دوافع؛ وهي:

- استعادة مجد الإمبراطورية الرومانية المسيحية، ومحاولة إعادة نشر الديانة المسيحية في المناطق التي سادتها سابقا.

- نظرة رجال الدين المعادية للإسلام وبالتالي للدولة العثمانية وأقاليمها فاحتلال أي جزء منها يعتبر نصرا للمسيحية.

- استعادة نفوذ المسيحية ورجالها في المستعمرات، الذي تقلص في ايطاليا[17].

وقد بدأ نشاط البعثات التبشيرية في البلاد بإنشاء مدرستين ابتدائيتين سنة 1889م، ثم اتسع نشاط هذه البعثات في معظم المدن والقرى وأقاموا الكنائس بحجة ممارسة نشاطهم الديني وأنشأوا المزيد من المدارس[18]. ولأجل كسب عطف السكان وعدم معارضة السلطات العثمانية لنشاطهم في الولاية أسسوا بعض الملاجئ، فادَّعوا بأن عملهم إنساني،القصد منه إنقاذ أهل البلاد من التخلف والتأخر، ومن هذا المنطق بدأت البعثات في البحث عن اليتامى ومن لا عائل لهم من السكان وإرسالهم إلى تلك الملاجئ[19]. غير أن هذه البعثات في حقيقة الأمر كانت تحت الإشراف المباشر للحكومة الإيطالية[20].

وراحت البعثات التبشيرية إلى أبعد من هذا كله؛ فقد كان من بين أعضائها رجالٌمن العسكريين والجواسيس والأعوان الإيطاليين الذين دخلوا الولاية وقد تأكدت هذه الروح المفعمة بالتعصب الصليبي فيما بعد في النشيد الذي كان يردده الجنود الغزاة قائلين :" **أماه صلي لا تبك، بل اضحكي وتأملي، ألا تعلمين أن إيطاليا تدعوني وأنا ذاهب إلى طرابلس فرحا مسرورا لأبذل دمي في سبيل سحق الأمة الملعونة ولأحارب الديانة الإسلامية...سأقاتل بكل قوتي لمحو القرآن، ليس للمجد من لم يمت لإيطاليا بخميس أيتها الوالدة وأن سألك علي أحد عن عدم حدادك فأجبيه أنه مات في سبيل محاربة الإسلام**"[21].

ـ دور المدارس الإيطالية: كان دور المدارس التي أقيمت في ولاية طرابلس قبل الغزو العسكري قائما على أساس غرس الثقافة واللغة الإيطاليين لدى السكان، وتعميق الدور الحضاري الإيطالي، وفي الوقت ذاته كانت تسعى إلى طمس أي معالم للحضارة الإسلامية، إضافة إلى إعداد مناهج خاصة تهتم فقط بنشر الثقافة الإيطالية عن طريق زرع أفكار ومبادئ تقربهم وترغبهم في السلطة الايطالية[22]. وقد انتشرت المدارس الإيطالية في مختلف مناطق ولاية طرابلس، وجعلها تنافس وتشكل خطرا على التعليم الإسلامي فيها[23]. وفتحت خمس05مدارس تبدأ بمدرسة لرياض الأطفال ثم مدرسة ابتدائية للذكور وأخرى للإناث مدتها خمس05 سنوات، ومدرسة فنية تجارية مدة الدراسة فيها أربع 04 سنوات، ومدرسة مسائية للكبار[24]. والملاحظ أن إنشاء المدارس هو محاولة لترسيخ دعائم الجالية الإيطالية وإعطائها صفة مميزة عن بقية الجاليات الأجنبية الأخرى وإبراز دورها الحضاري في البلاد.

الأساليب الاقتصادية (بنك روما):

لما أدرك الايطاليون أن الفرصة لم تحن لاستخدام الأدوات العسكرية اتخذوا القرار بضرورة التغلغل الاقتصادي داخل ولاية طرابلس لتحقيق السيطرة الاقتصادية أولا، ثم خلق الحجج والذرائع لاحتلال البلاد. وقد وقع الاختيارسنة1905م على بنك روما ليلعب هذا الدور خاصة وأنه ارتبط بالدوائر الحاكمة من ناحية وبالأوساط الكاثوليكية ذات النفوذ الديني من ناحية أخرى[25].

ووافق بنك روما ليكون سندا لحكومته، وليس مجرد وسيلة تمهيدية بل أكثر من ذلك إذ تحول بعد عدة سنوات إلى أداة ضغط على ساسة إيطاليا، ليدفعهم للتعجيل بالغزو[26].

وقد استطاع البنك أن يفرض نفسه من خلال علاقاته بالولاة كما استطاع إتباعه التغلغل في الإدارة العثمانية واتخاذ الأصدقاء والأعوان للتأثير على سياسة الباب العالي تجاه نشاط البنك في الولاية، كما وجد البنك دعما من الحكومة العثمانية منذ تأسيسه ونشاطاته داخل ولاية طرابلس الغرب، وقد عارض رجب باشا[27] في سنة 1906 م تأسيس البنك ونشاطه لشراء الأراضي داخل الولاية، إلا أن إدارة البنك وجدت

الدعم من السفير العثماني في روما حقي باشا الذي بعث بدوره إلى حكومته برسالة جاء فيها، "**إن إيطاليا تبذل جهدا كبيرا لمساعدة الحكومة العثمانية ومن الواجب على الباب العالي أن يتسامح مع بنك روما تدعيما لأوامر المودة بين الدولتين وإحكاما لعلاقات الصداقة**"[28]. وبالفعل تم عزل رجب باشا، وأصدرت تعليمات بحرية نشاط البنك اقتصاديا وسياسيا، وأصبح أغلب الولاة أدوات في أيدي الحكومة الايطالية ورجال إدارة البنك، كما دعم موقفهم صعود حقي بشا صدرا أعظم بمساعدة الحكومة الإيطالية[29]. ومن هنا لابد علينا تتبع بعض أنشطة هذا البنك في مختلف أرجاء الولاية للتعرف على مدى السيطرة الاقتصادية التي حققها في طريق التمهيد الغزو.

أ -النشاط الاقتصادي لبنك روما[30]**:** أنشأ بنك روما فروعا له في مدينتي طرابلس وبنغازي في أفريل1907م، لتشمل فروعه بقية المناطق والمدن بالولاية: زوارة، الخميس، سرت، زليطن، طبرق، السلوم[31]. ونشاطه شمل كافة المجالات منها:

- فعلى المستوى الصناعي: أنشأ في ديسمبر من عام1907م منشأة الزيوت الإيطالية بمدينة طرابلس ثم في كل من مدينة الخمس، مسراتة، زليطن، وافتتح في مارس عام1910م مطحنا كبيرا للغلال في طرابلس.وكما أقام مصنعا للثلج ومطبعة وعددا من المشروعات الصغرى، وعمل البنك في مجال البحث عن المعادن في الولاية واستغلالها، كالفوسفات والكبريت حيث كلف في هذا المجال بعثة قامت بجمع المعلومات عن وجود هذه المعادن وإمكانية استغلالها [32].

- أما على المستوى القطاع الزراعي: فقد تمكن البنك من شراء آلاف الهكتارات من الأراضي الزراعية في ضواحي مدينة بنغازي، وقام بتوزيع نحو15ألف رأس من الماشية في مقابل حصول البنك على نصف المحصول، هذا ما جعل الصحافة الإيطالية تهتم بنجاحات البنك، حيث كتبت مجلة "**البعث الإيطالية**" تتحدث عن تعدد أنشطة قائلة: "**إنها أعمال عظيمة لبنك يحمل اسم إيطاليا**"[33].

- وفي الجانب التجاري: ساعد تمويل الحكومة الإيطالية للبنك، ببرمجة خطوط ملاحية بين موانئ طرابلس وبنغازي وطبرق وربطها بموانئ مالطا، وجنوة وبالومو، وإسطنبول، ومارس البنك في الوقت ذاته مخططات خداعية لإفقار المتعاملين معه من العرب عن طريق منح القروض التجارية مقابل الرهانات لصغار التجار بفوائد كبيرة، وهذا للسيطرة عليهم[34].

ب- النشاط السياسي لبنك روما: صرح وزير الخارجية الايطالي عندما اصطدم البنك بالسلطات العثمانية قائلا:" **إن قصد السلطات العثمانية في تلك البلاد، هو إثارة حرب ضد المصالح الاقتصادية والتجارية الايطالية، وذلك يمنع المواطنين العرب من أن تكون لهم علاقة ببنك روما بل منع البنك ذاته من الحصول على الاعتراف القانوني أمام المحاكم المحلية**" يعني أن البنك أصبح يمثل المصالح الايطالية في الولاية، وبالتالي فإن أي مساس به هو مساس بالحكومة الايطالية[35].هذا التصريح يوضح دون شك المكانة التي يتمتع بها البنك لدى ساسة إيطاليا، ويعكس التأثير المتبادل الذي يمكن أن يمارسه أحد الطرفين. وفعلا بدأ البنك يضغط على صانعي القرار بإشاعة أن هناك مشروع ألماني منافس لبنك روما بطرابلس، وهدد ببيع مصالحه للبنك الألماني، لهذا على السلطات الإيطالية التدخل بشدة ضد تعسف السلطات العثمانية، وأن لا تكتفي بإصدار التصريحات وإرسال المذكرات لحكومة إسطنبول دون العمل الفعلي[36].

وكل ذلك كان كافيا ليصيب الساسة والحكومة الإيطالية مجتمعة بالذعر ويدعوها لاتخاذ الاستعدادات النهائية للغزو وخاصة بعد أن قدم أحد الساسة تقريرا أوضح فيه موقف بنك روما المؤيد للغزو على النحو التالي[37]:

أولا: أن هناك منافسات اقتصادية تساعدها السلطات المحليةتشكل ضررا لوضعنا السياسي والاقتصادي في طرابلس. وأن شركة "كروب سيمسني" و"الدوتش بنك" على وشك الاستيلاء كليا من الناحية الاقتصادية على طرابلس تمهيدا للاحتلال الألماني المنتظر وأن مفاوضات سرية كانت جارية بين حكومتي برلين وإسطنبول لتأجير ميناء طبرق للأسطول الألماني.

ثانيا: لا يمكننا منع تشجيع الحكومة العثمانية للمشاريع والمبادرات الأجنبية الأخرى، لمقاومة تغلغلنا الذي تخشاه.

ثالثا: كلما تأخر احتلال طرابلس، كلما زادت صعوبة حلها.

وعلى أساس هذا التقرير، تبين أن المصالح الايطالية في طرابلس الغرب في خطر، وجاء التقرير محاولة للتأثير على صانعي القرار السياسي فيجد هؤلاء أنفسهم أمام مسلك واحد لا بديل عنه هو تحطيم التردد والانتقال بصورة حاسمة للقيام بالغزو.وهكذا بدأ إعداد الأسطول الإيطالي، لكي يتولى تحقيق الاحتلال العسكري لولاية طرابلس.

الأسباب والذرائع: ومن خلال البحث يمكن أن نجمل الأسباب والحجج فيما يلي:اجتمعت أسباب ووقائع معقدة في هذا المضمار منها سياسية ومنها اقتصادية، ومنها دينية وهي الرغبة في نشر المسيحية، فضلا عن أسباب قومية وإستراتيجية ضمن الناحية السياسية حيث نادى دعاة الفكر السياسي بأن العوامل السياسية هي الأساس مدَّعين أن ليبيا لا يمكن أن تؤلف عملية اقتصادية مربحة. أما الدوافع الاقتصادية فقد رأت إيطاليا استغلال هذه الأراضي وتنميتها وذلك حلا لمشكلة الهجرة فضلا عن رغبة الايطاليين في استخدام رؤوس أموالهم واستثمارها في مشروعات تعود عليهم بالنفع وتدريب الشباب الايطالي على الأعمال الزراعية المنتجة[38].

ومن الناحية القومية فإنها تحقق أمجاد روما القديمة بنشر الثقافة في إفريقيا ابتداء من ليبيا، وكذلك الشعور بالنقص إزاء الدول الأوربية الكبرى ذات المستعمرات[39]، ومحاولة غسيل العار الذي لحق بها إثر هزيمتها في معركة عدوة في الحبشة 1896م، وخسارتها مستعمراتها فيها[40]. وهذا يُعد ترضية الشعور الوطني من أهم دوافع إيطاليا في هذا المضمار، وفضلا عن الناحية الإستراتيجية التي تضمن موانئ للأسطول الايطالي، الذي لا يريد أن يكون محاصرا في المياه الإقليمية[41].

أما عن الحجج والادعاءات فتمثلت في نشر ادعاءات مغرضة ضد الأتراك في ليبيا حيث بعث وزير الخارجية الإيطالية "ماركيز جوليانو" بالتقرير التالي إلى السفارات الإيطالية في العالم، مطالبا بترويج ما جاء فيه بين الرأي العام ومما جاء فيه:[42]

ـ شكوى المواطنين الإيطاليين من سوء المعاملة ورفض الحكومة التركية بث الشكاوي.

ـ تعرض أصحاب الامتيازات والتجار والهيئات القنصلية للاعتداءات.

ـ حادثة الفتاة التي تزوجت بأحد الرعايا الأتراك بعد أن اعتنقت الإسلام.

ـ استياء الأسطول التركي على القوارب والبواخر الايطالية.

ـ عرقلة المصالح الاقتصادية الإيطالية في ليبيا (بنك روما).

ومهما يكن من أمر فإن أسباب الحرب التي ذكرها المؤرخون لم تكن إلا فجوة تبريرو تمرير الغزو الإيطالي لليبيا.

قرار الغزو الإيطالي على ليبيا: إن استعمال الأدوات العسكرية كان الحلقة الأخيرة التي أراد الايطاليون الوصول إليها،وقد جاء قرار تنفيذ الغزو في ثلاث مراحل هي: الإنذار، إعلان الحرب، الإنزال.

الإنذار الإيطالي: نتيجة مغادرة الباخرة "درنة" اسطنبول صبيحة23 سبتمبر1911م، محملة بالأسلحة والذخائر والجنود والضباط العثمانيين باتجاه طرابلس، واستغلت الحكومة الإيطالية الموقف وأثارت النزاع بتوجيه مذكرة إلى الحكومة العثمانية عن طريق القائم بأعمالها في اسطنبول "دي مارشينو" عبرت فيها عن قلقها بسبب هياج سكان طرابلس الذي يهدد على الرعايا الإيطاليين، كما حذرت المذكرة الباب العالي من الوضع الذي يهدد الأمن في طرابلس وطالبت بعدم نقل السلاح إلى الشمال الإفريقي[43].

وتلتها في25 سبتمبر مذكرة أخرى،ورد فيها احتجاجات جديدة تتعلق بوصول سفينة النقل "درنة" إلى شمال إفريقيا، وقد تسلم إبراهيم حقي باشا المذكرة من "دي مارشينو" التي كانت تتضمن عدة مطالب تقدمت بها ايطاليا منها[44]:

- إخراج القوات العثمانية من طرابلس.
- تشكيل جندرمة في هذه البلاد تحت قيادة الضباط الطليان.
- أن تكون إدارة الجمارك بأيدي موظفين من الإيطاليين.
- لا يتعين والي طرابلس إلا بموافقة ايطاليا ورضاها.

وتباحث رئيس الوزراء العثماني إبراهيم حقي باشا، مع "مارشينو" في 26سبتمبر1911م حول إمكانية التوصل إلى حلول للأزمة الاقتصادية، إلا أن الحكومة لإيطالية كانت قد قررت العمل العسكري، دون الالتفات إلى الاقتراحات العثمانية، حيث وجهت برقية ليلة26 سبتمبر" **نص الإنذار النهائي**" إلى القائم بأعمالها في إسطنبول، الذي صاغه "سان جوليانو" ووقعها رئيس الوزراء جوليتي، وبعد موافقة "الملك إيمانويل" حرر الإنذار النهائي، وتشكل مجلس مصغر ضم رئيس الوزراء، وزير الشؤون الخارجية، وزير الحربية وزير البحرية، وتقرر ألا يوجه الإنذار النهائي إلى الدولة العثمانية إلا عشية إقلاع الحملة بطريقة لا تسمح للعثمانيين بإرسال الإعدادات إلى ليبيا. ودون أن تنتظر الحكومة الايطالية جوابا على مذكرتها السابقة، أرسل الإنذار النهائي إلى القائم بالأعمال الإيطالية في اسطنبول في ليلة 27/26 سبتمبر، وسلمها "مارشينو" إلى الصدر الأعظم في الساعة الثانية والنصف ظهر يوم 28سبتمبر خلال استقبال إبراهيم حقي باشا الدبلوماسيين من ممثلي القوى الكبرى[45]،كما سلم نص المذكرة إلى القائم بالأعمال العثمانية في روما "سيف الدين باي" يوم 28 سبتمبر و في الساعة الثامنة مساء [46]، وأهم ما جاء في الإنذار الإيطالي: "**لم تكف الحكومة الايطالية أبدا خلال سلسلة طويلة من السنين عن تذكر الباب العالي بالضرورة القصوى لوضع حد لحالة الإرباك والإهمال اللذين تركت فيها تركيا كلا من طرابلس وبرقة، وأن تتمكن هاتان المنطقتان من التمتع بنفس التقدم الذي تحقق في أرجاء أخرى من إفريقيا الشمالية**". وجاء فيه أيضا: "**إن وصول ناقلات عثمانية عسكرية إلى طرابلس الغرب لم يلفت الحكومة الملكية لفت نظر الحكومة العثمانية إلى نتائجه الخطيرة، لا يمكن إلا أن يزيد من خطورة الحالة ويفرض على الحكومة الملكية الواجب الملح والمطلق في تدبير الأخطار الناتجة عنه**". و ورد فيه أيضا:"**إن**

الحكومة الإيطالية ترى نفسها وفي الحالة هذه مجبرة على التفكير في حماية كرامتها ومصالحها و لدا قررت القيام باحتلال طرابلس وبرقة عسكريا".

كما جاء في آخر الإنذار عدم معارضة القوات الإيطالية في الاحتلال، وإن الاتفاقيات تجري فيما بعد لتسوية الأوضاع بين الدولتين، وطلب الرد خلال 24 ساعة، وفي حالة تأخره عن الأجل المحدد فإن الحكومة الإيطالية ستقوم بالاحتلال العسكري.

وبعد اطلاعنا على محتوى الإنذار الإيطالي لم نجد سببا منطقيا يدعو لهذا العمل العدائي من قبل إيطاليا، وإذا اقتنعنا بوجود تصرفات مسيئة إلى مصالح إيطاليا في القطر الليبي، فإنها ترجع إلى نوايا وأطماع ايطاليا في احتلال طرابلس وليس من حق ايطاليا أو أي دولة أجنبية أخرى التدخل عسكريا.

الرد العثماني على الإنذار:أرسل "حقي باشا" السلطان "حيدر رشاد الدين" يقابله ليتدبر معه الأمر في كيفية الرد الذي لا يقبل التأجيل في هذه المسألة محاولا إيجاد حل مناسب لموقف حكومته لحفظ كرامة الإمبراطورية العثمانية إذ أن طرابلس الغرب كانت مهملة من الناحية العسكرية لا توجد بها قوات كافية لصد الإيطاليين[47].

ولهذا طلب حقي باشا استشارة سعيد باشا، فاقترح عليه: **"إذا لا يمكن الحرب فهل يمكن التسليم؟ وإذا علمنا أنه لا يمكن التسليم ولا يمكن الحرب فهل من المحال إيجاد حل وسط بين الحرب والصلح"**. وقد توصل حقي باشا إلى أن الحل الوسط هو الصلح، ولكنه وجد مخرجا من القضية فاستقال وترك الأمر لـ: سعيد باشا حيث كلفه السلطان بتشكيل وزارة جديدة بعد قبول استقالة حقي باشا[48]إن إرسال الإنذار في حد ذاته وتحديد مدة زمنية قصيرة للرد عليه بعد إعلان الحرب والصيغة التي كتب بها الإنذار لم تدع مجالا للأتراك لحفظ ماء الوجه وحفظ القليل من هيبتهم[49].

وعلى كل حال فقد تولى "سعيد باشا" رئاسة الوزراء وخاطب الحكومة الإيطالية بالرد على الإنذار[50] وسلم الرد في الساعة السادسة من صباح يوم 29 سبتمبر 1911 إلى دار السفارة الإيطالية بالأستانة[51].

إعلان الحرب: رأت الحكومة الإيطالية أن هذا الجواب فيه مماطلة ومراوغة لهذا قرروا إعلان الحرب في اليوم الذي تسلموا فيه الرد التركي 29 سبتمبر 1911م، و قد جاء في إعلان الحكومة الإيطالية للحرب ما يلي[52]: (أن الدولة العثمانية لم ترسل ردا مقنعا في المدة المحددة، واعتبر هذا دليلا على إهمال المصالح الايطالية في طرابلس كما حمل المسؤولية كاملة للحكام العثمانيين، وأن ايطاليا عليها التدخل لحماية حقوقها ومصالحا، وبهذا فإن ايطاليا تقطع علاقاتها الودية مع الدولة العثمانية وتعلن أنها في حرب معها).

وفعلا أصدرت وكالة الأنباء الرسمية الإيطالية في 29 سبتمبر 1911م بيان ذكرت فيه: "بما أن الحكومة العثمانية لم تقبل المطالب التي احتواها الإنذار الإيطالي فإن إيطاليا والإمبراطورية العثمانية ابتداء من اليوم 29 سبتمبر ومن الساعة الثانية والنصف تصبحان في حالة حرب وتكفل الحكومة الملكية حماية جميع الجاليات في طرابلس وبرقة أيا كانت جنسيتها بما تحت يدها من إمكانيات، وتحاط الدولة المحاذية سريعا بأمر حصار سواحل طرابلس وبرقة"[53].

خاتمة:

وفي الختام ومما سبق، يمكن إبراز الاستنتاجات التي توصلت إليها من خلال هذه الدراسة:

- ظلت ولاية طرابلس الغرب مطمع العديد من القوى الاستعمارية الأوربية خاصة فرنسا وبريطانيا، وألمانيا، وكل منها حاولت اقتطاع مناطق نفوذ لها في طرابلس الغرب.

- اعتبرت الحركة الاستكشافية والاستطلاعية التي أرسلتها الحكومة الايطالية إلى طرابلس الغرب مرحلة ممهدة للاحتلال والسيطرة فيما بعد.
- استعانة إيطاليا في مشروعها الاستعماري في طرابلس الغرب على الإرساليات التبشيرية لمحاربة الدين الإسلامي، وتعليم اللغة العربية ودعمتها ماديا ووضعت لها تسهيلات وفتحت المجال لها لنشر الديانة المسيحية، والتعليم التبشيري، وإنشاء دور الملاجئ، من أجل نشر المسيحية.
- كثفت إيطاليا جهودها التعليمية بفتحه المدارس إيطالية في طرابلس الغرب للقضاء على اللغة العربية والإسلام لتحل محلها اللغة الإيطالية والديانة المسيحية
- ركزت إيطاليا في سياستيها الاستعمارية على الجانب الاقتصادي هدفت من خلاله استغلال موارد طرابلس الغرب الاقتصادية، وركزت مشاريعها الاقتصادية التنموية الاستغلالية إذ فتحت المجال لبنك روما لإنشاء مشاريع استثمارية الرابح فيها الأكبر هو الجانب الإيطالي.
- بحثت إيطاليا عن متنفس لمشكلاتها الاقتصادية والاجتماعية من ناحية وعن موارد للمواد الخام وموطن للأسواق الجديدة وميدان لاستثمار أموالها من ناحية أخرى.
- استعملت ايطاليا كل الأساليب والحجج لتبرير عملية غزوها على ليبيا وتمكنت في الأخير من السيطرة واحتلالها، وهنا يُسجل التاريخ رضوخ وتنازل الدولة العثمانية على طرابلس الغرب.

الهوامش:

(1) بيير نوفان، تاريخ العلاقات الدولية 1815- 1974م، ترجمة، جلال يحيى دار المعارف، القاهرة، 1971م، ص 475.

(2) مفتاح السيد الشريف، الاستعمار الإيطالي لليبيا، دار النشر الليبية، طرابلس، 1971م، ص ص 12- 13.

(3) حادثة فاشودة: وقعت الحادثة في عام 1898م، وهي من أسباب الخلاف بين بريطانيا وفرنسا في السيطرة على أعالي النيل في أعماق القارة الإفريقية، حيث أن الخديوي إسماعيل كان يطمع للتوسع في جنوب السودان وصولا إلى فاشودة على الحدود الأوغندية. وبالمقابل كانت أيضا فرنسا تطمع للسيطرة عليها،وقد تمكنت قوات الأخيرة بقيادة مارشان من الوصول إليها انطلاقا من السنغال في عام1896م،وكادت أن تقع حرب بين الدولتين. واتفق الطرفان على أن يرفع كتشنرمن الجانب البريطاني العلم المصري فيها على مسافة 5000 ياردة (4550م) جنوبي الموقع الفرنسي.
وظل القائد الفرنسي ينتظر تعليمات حكومته، وفي الأخير أصدرت الأوامر لمارشان بأن ينسحب مع بعثته عن طريق الحبشة ويرجع إلى فرنسا. ينظر للمزيد:عمر سالم عمر بابكور،" حملة مرشان وأزمة فاشودة (1315هـ/1898م)"، مجلة جامعة أم القرى للبحوث العلمية، العدد18، الشريعة والدراسات الإسلامية،1998م، ص ص(315-345).

(4) محمود ناجي، تاريخ طرابلس الغرب، ترجمة، عبد السلام أدهم، ومحمد الآسطى، منشورات الجامعة الليبية، بنغازي، ط1، 1970م، ص 184، 185.

(5) نفسه.

(6) Malgeri, F, La Guerra libica 1911-1912, Roma, edizioni di storia e letteratura, 1970, p 16.

(7) إقليم برقة: تحده مصر غربا، ومساحته من حدود مصر إلى حدود طرابلس الشرقية-القوس-855 ألف م^2، ويقصد بالقوس الذي بناه الايطاليون سنة1929م. للمزيد ينظر: طاهر محمد الزاوي، معجم البلدان الليبية، مكتبة النور، طرابلس، الطبعة الأولى،1968، ص ص 56-57.

(8) مفتاح السيد الشريف، المرجع السابق، ص 13.

(9) ز . ب . ياخيموفتش، الحرب التركية الإيطالية، ترجمة، هاشم صالح التكريتي، منشورات الجامعة الليبية، بيروت، ط1، 1970م، ص43.

(10) نفسه، ص 29.

(11) مفتاح السيد الشريف، المرجع السابق، ص ص 12- 13.

(12) محمد رجب الزائدي، الغزو الايطالي لليبيا، دار الكتاب الليبي، بنغازي، ط1، 1974م، ص 57.

(13) شارل فيروا، الحوليات الليبية، ترجمة، محمد عبد الكريم الوافي، دار الفرجاني، طرابلس، ط1، 1974م، ص 791.

(14) مدينة درنة:مدينة ليبية تقع على الشريط الساحلي الشمالي الشرقي للبلاد،وهي من مدن برقة المشهورة، احتلها الايطاليون سنة1911م، إلى غاية أواخر سنة1942م حينما أخرجهم الإنجليز. وهي اليوم من المدن العظيمة في ليبيا ولها مكانة خاصة، ومبانيها حديثة وشارعها منظمة، وبها أسواق حافلة بالتجارة، وهي مركز مهم للمواصلات بين مصر وغربي ليبيا وجنوبها. للمزيد ينظر: طاهر محمد الزاوي، المصدر السابق، ص ص(130-133).

(15) فرانشيسكوا كورو، ليبيا أثناء العهد العثماني الثاني، خليفة محمد التليسي، دار العرجاني، طرابلس، ط 1، 1971م، ص ص(171-175).

(16) محمد عبد العزيز، نهضة إفريقيا، الهيئة العامة المصرية للتأليف، القاهرة، 1970م، ص 96.

(17) Smith, M,D. Storia d Italia del 1861 al 1969, V2, roma editori laterza, 1972,p 29.
(18) محمد فؤاد شكري، السنوسية دين ودولة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1948م، ص 134.
(19) محمد مصطفى بازامة، بداية المأساة، المطبعة الأهلية، بنغازي، ط 1، 1961م.ص ص(25-30).
(20) محمد فؤاد شكري، المصدر السابق، ص13.
(21) محمد رجب الزائدي، المرجع السابق، ص ص 29- 30.
(22) مفتاح السيد الشريف، المرجع السابق، ص 36.
(23) أحمد صدقي الدجاني، ليبيا قبيل الغزو الإيطالي 1882م - 1911م، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ط1، 1971م، ص 24.
(24) تيسير بن موسى، المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني (دراسة تاريخية اجتماعية)، الدار العربية للكتاب، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى، طرابلس، ص ص346-347.
(25) Malgeri ,f , op, cit, p 17.
(26) Ibid, p293.
(27) رجب باشا: شغل عدة وظائف في طرابلس قبل أن يكون واليا على طرابلس ، وقد تولى هذا المنصة في سنة1904م، وهناك من يقول سنة1906م، للمزيد ينظر: الطاهر محمد الزاوي، ولاة طرابلس من بداية الفتح العربي إلى نهاية العهد التركي، دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1970، ص ص231-232.
(28) خليل محمد البربار، "مصرف روما ودور السلطات التركية في الوقوف ضد التسلل الايطالي في ليبيا 1911- 1912م"، مجلة البحوث التاريخية ،عدد4، 1982م، ص ص 227- 228.
(29) رشيد رضا، "مقدمات الحرب في طرابلس الغرب"، مجلة المنار، المجلد 14، ج 11، 21 نوفمبر، 1911م، ص 856-862. و. ز. ب. ياخيموفيتش، المرجع السابق، ص45.
(30) أنشأ بنك روما في نشاطاه الاقتصادي فروعا له بمدينة الإسكندرية سنة 1903م، ثم شارك في بنك إثيوبيا عام1906م، وبنك الدولة في مراكش. ينظر للمزيد: محمد مصطفى الشركسي، لمحات الأوضاع الاقتصادية في أثناء العهد الايطالي، الدار العربية للكتاب، تونس، 1976م، ص ص29-30.
(31) محمد مصطفى الشركسي، المرجع السابق، ص ص(29-44).
(32) نيقولا زيادة، ليبيا في العصور الحديثة، دار الفرجاني ،طرابلس، 1966م، ص 84.
(33) مفتاح السيد الشريف، المرجع السابق، ص 24.
(34) نيقولا زيادة ، المصدر السابق، ص ص44-45.
(35) ز، ب. ياخيموفيتش ، المرجع السابق، ص44.
(36) خليفة محمد التليسي، مذكرات جوليتي الأسرار العسكرية والسياسية لحرب ليبيا، منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع، طرابلس، ط1، 1976م، ص 54.
(37) Malgeri, F, op, cit, pp21,23,24
(38) جان ديبوا، الاستعمار الإيطالي في ليبيا، طرقه ومشاكله، ت هاشم حيدر، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي، 1968م، ص 13.
(39) محمد عبد الرزاق مناع، جذور النضال العربي في ليبيا، دار مكتبة الفكر، طرابلس، ط2، 1972م، ص 17. ومحمد عبد الرحمان برج، دراسة في التاريخ العربي الحديث والمعاصر، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1974م، ص 134. وجورج أنطونيوس، يقظة العرب، ترجمة، ناصر الدين الأسد، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1974م، ص181.
(40) حسن سليمان محمود، ليبيا بين الماضي والحاضر، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، 1962م، ص ص 221- 222.
(41) جلال يحي، التناقض الدولي في شرق إفريقيا، الأنجلو مصرية، القاهرة، ط1، 1959م، ص ص 221- 222.
(42) منصور عمر الشتيوي، الغزو الإيطالي لليبيا، مكتبة الفرجاني، طرابلس، ليبيا، ط1، 1980م، ص ص 69- 72.
(43) محمود العرفاوي، مخاض الإمبريالية والفاشية الإيطاليتين 1882- 1912م، 2ج، ترجمة، عمر الطاهر، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ليبيا، 1991م، ج2 ، ص40.
(44) H.Hearder, and D, P, vrabey, A short History of Italy, Cambridge university press, London, 1962, p189.
(45) أحمد عزت الأعظمي، القضية العربية، تاج ،بغداد ، 1932م، ص 37.
(46) جرانت هارولد ثمبرلي، أوروبا في القرنين التاسع عشر و العشرين، 2ج، ترجمة، محمد علي ابو درة، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، 1978م، ص141.
(47) محمد الأعظم، " القمر وما وراء القمر"، مجلة الأفكار، عدد7 يونيو 1956م، ص 6.
(48) نفسه، ص7.
(49) ز.ب. ياخيموفتش، المرجع السابق، ص ص 61- 62.
(50) رشيد رضا، "إنذار ايطاليا للدولة العثمانية"، مجلة المنار، المجلد 14، ج 10، أكتوبر 1911م، ص 782 – 784.
(51) محمد مصطفى بازامة، المصدر السابق، 26.
(52) محمد سيد كيلاني، المرجع السابق، ص ص 40-41.